مجلة الحكمة للدراسات التاريخية
Eissn :2600-6405 Issn : 2353-0472
المجلد 7 /العـدد: 2 (2019)، ص: 109- 119

ملاحظات حول كتاب " المغرب الإسلامي منذ بناء القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج . سياسة ونظم . للأستاذ موسى لقبال

الدكتورة: نبيلة عبد الشكور[1]
[1]جامعة الجزائر2- الجزائر

تاريخ الاستلام: 2019/06/10 تاريخ القبول: 25 /2019/06 تاريخ النشر: 2019/07/01

يعد الأستاذ الدكتور موسى لقبال أحد باحثين في تاريخ المغرب الإسلامي ليس على صعيد الجزائر وحسب ، بل وعلى مستوى الوطن العربي أجمع. وذلك من خلال آثاره التي تغنيك عن أخباره، والمتمثلة في إنتاجه العلمي ، إذ أنجز عشرات من الكتب والأبحاث والمقالات في مجلات ودوريات محلية ودولية مختلفة.

ولعل من أشهرها:

_ دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري/11م .

_ الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها).

_ التيسير في أحكام التسعير.

_ ثم المغرب الإسلامي منذ بناء القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج- سياسة ونظم - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

الذي خصصنا له بعض ملاحظات ، والتي لاتخرج عن كونها بعض وقفات المتفحصة مع هذا الباحث في مؤلفه القيم هذا ، انطلاقا من كلامه في المقدمة الذي جاء فيه:

"عالجت في كتابي هذا الجهود السياسية والعسكرية التي قام بها المسلمون ليدخلوا منطقة المغرب، دائرة الدولة العربية، وتحت تأثير الحضارة الإسلامية ،

ثم تتبعت بذور التنظيمات الإدارية ، ومظاهرها منذ أن أصبح للمسلمين مصر جامع، وحقوق سياسية ثابتة إلى ما بعد منتصف القرن الثاني للهجرة .

أثار الاستاذ موضوعا شائكا، مما يدل على صبره وتجشمه في جمع شتيت مادته المنثورة هنا وهناك في مختلف المصادر والمظان المشرقية والمغربية والأندلسية أيضا ، وعليه فان كتابه **المغرب الإسلامي منذ بناء القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج** – نظم وسياسية - الذي جاء في مائتين وتسع وعشرين صفحة من الحجم الصغير، بحيث استهله بذكر الأسباب التي أدت به إلى تأليفه ، مثل قوله: " وألاحظ أن العمل العربي في هذه المنطقة يعد حاسما ، لأنه قرر مصيرا نهائيا لها ولسكانها في إطار الدولة العربية ، وضمن المجموعة الإسلامية على حد تعبيره".

كما صرح المؤلف هنا أيضا بأنه اطلع على أزيد من سبعين مصدرا ، الأمر الذي مكنه من ذكر ثلاث مائة وواحد وعشرين من أعلام الرجال كنماذج لما عرفه ماضي هذه الديار من أسماء لامعة في التاريخ السياسي والحضاري للمغرب الإسلامي.

وبعد أن بين الأستاذ الأسباب الكامنة من وراء تصنيفه لهذا المؤلف، يأتي فيقدم لنا محتوى الكتاب المتكون من (229 صفحة) ، وقد تضمن مقدمة، وخمسة أبواب وخاتمة ، ومجموعة من الملاحق، على النحو التالي:

_ المقدمة، وجاء فيها: الإطار الجغرافي، والبشري للمغرب، قبيل الفتح العربي، من: ص 7_ص 12.

_ الباب الأول: قاعدة القيروان، من ص23_ ص53.

_ الباب الثاني: استكمال عملية الفتح ن ودور حسان بن النعمان ، من ص54_ ص 78.

ملاحظات حول كتاب " المغرب الإسلامي منذ بناء القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج . سياسة ونظم . للأستاذ موسى لقبال

_ الباب الثالث: تأكيد السيادة العربية على المناطق المفتوحة ودور موسى بن نصير، من ص79_ ص 98.

_ الباب الرابع : الوضعية الإدارية للمغرب الإسلامي بعد انتهاء الفتوح ، من ص 9_ ص145.

_ الباب الخامس : حركة الخوارج الصفرية والإباضية في افريقية وبلاد المغرب منذ 122_ 178هـ، من ص 9_ ص145.

_ الملاحق: وعددها 14 ملحق.

_ صورتان لمسجد سيدي عقبة (بيت الصلاة والضريح).

_ فهرس الأعلام ، عددهم 321.

_ المصادر والمراجع

_ ثم فهرس الموضوعات .

ومن خلال استقرائنا لمادة هذا الكتاب حسب التقسيم المبين أمكن تسجيل النقاط التالية:

1- هناك ملاحظة منهجية جد مهمة حول عنوان الكتاب إذ جاء على ظهر الغلاف كما يلي:(المغرب الإسلامي منذ بناء القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج). والحقيقة فان هذا العنوان وبهذه الكيفية، كان ينسجم مع مضمونه أو محتواه.

2/ ومن الملاحظات الجديرة بالذكر في هذا الكتاب هو ان المؤلف لم ينهج الطريقة المتبعة في المنهجية في مسائل عدة منها:

أ/ يشير المؤلف في كتابه انه اعتمد على المصادر المشرقية (القديمة)، ولست أفهم ماذا يقصد بالقديمة ؟، والأصح ، كان عليه أن يذكر المصادر المشرقية (فقط)، خاصة إذا اعتبرنا أصحاب هذه المصادر المشرقية عاشوا في زمن واحد مع أصحاب المصادر المغربية ، ورغم ذلك لم يعتبر هذه الاخيرة من المصنفات

(القديمة) ومن بين هذه المصادر ، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: ابن تغري بردي المشرقي(ت874هـ/1469م)، و ابن عذاري المغربي(ت 712هـ/1312م) ، وهكذا....

ب/ اكتفى المؤلف بذكر أصحاب المصادر دون ذكر تاريخ وفياتهم، كما هو معهود في الكتابات التاريخية، مثلا، عبد الرحمن ابن خلدون (ت808هـ/1406م)الخ...

ج/ ثم يصنف قائمة بالمراجع العربية الحديثة، وقائمة أخرى بالمراجع المغربية الحديثة، علما ما يصطلح عليه بالمراجع العربية الحديثة ، تنظم فيها الكتب المشرقية والمغربية بحيث لا يوجد فرق بينها .

د/ وقد أضاف المؤلف قائمة سماها بالمصادر الإباضية (وهي تحتوي على المصادر والمراجع)، والمعروف أن المدرسة المشرقية هي التي تعتمد على هذا النوع من التقسيمات ، أما المدرسة المغاربية فهي غير معهود بها على الأقل، وعندما نذكر المراجع الحديثة لانفصل بين كتب إباضية ، وأخرى سنية.

هـ/ أشار المؤلف في قائمة المصادر والمراجع إلى (المراجع الأجنبية)، ومع ذلك لم يذكرها، ولم يعتمد عليها؟.

ل/ من اللافت للانتباه أنه وردت في الكتاب، وضع صور بدون مرجع، و خرائط بدون مقياس ولا مصدر؟.

3- إن هذا الكتاب يزخر بكم هائل من مشاهير الرجال المغاربة ممن أسهموا بأدوار متعددة في نهضة المجتمع و في بناء الحضارة الإسلامية مشرقا ومغربا، ولم يترددوا اقتحام في ميادين الحياة (السياسية والحربية والفكرية)، والتي يرجع للأستاذ المؤلف الفضل في جمعها .

4- من اللافت للانتباه ان الاستاذ وهو يتحدث على ملكة البربر، لم ينصفها ، فقد وردت في الكتاب بعض التعميمات التي فيها شيء من الإجحاف من جهة

والمبالغة في حق الكاهنة من جهة أخرى، ومن أمثلة هذه عبارة:" أن هذه المرأة قل أن يوجد لها نظير في افريقية، بالنسبة لما أوحت به من أساطير"[1].

لكننا لانتفق مع الأستاذ عندما اكتف بسرد ما أخبرنا به شارل أندري جوليان، لأننا نعلم حقد المؤرخين المستشرقين الفرنسيين اتجاه تاريخنا ، خصوصا عندما يتعلق الأمر بتاريخ الاجتماعي والحضاري للمغرب الإسلامي، لأن المصادر لم تذكر سوى أسطورة واحدة للكاهنة، تتمثل في استعمالها للسحر والتنبؤ بالأحداث في المستقبل ، وهي النقطة التي أسالت أقلام المستشرقين عندما يتحدثون على الملكة العدوة للإسلام .

ثم عبارة " أما عن اسمها فاختلف في ضبطه، فهي (دهيا بنت ماتيه بن تيفان)عند عبد الرحمان ابن خلدون و(دامية بنت نيفاق) عند ابن أبي دينار، وشيء بين هذين عند جوليان (دماميا . دحيا؟)، وأضاف الأستاذ " وأصلها من قبيلة جراوة البترية، وكانت تدين باليهودية ".

والحقيقة أن شخصية الكاهنة التي تمثل تاريخ ملكة البربر ، غدت موضوع تضارب آراء المؤرخين في أربع مسائل:

1/ **إسمها**: دِهيا[1] Dihya أو داهيا[2] Dahya أو داميا Damya أو دامِيا[3] Damiya، والظاهر أنه صفة أو لقب، لوصفها بالدهاء، وهذه الصفة أساسية عند الحرة والمشعوذين[4]، وأما الكاهنة El kahina ، هو ليس اسم امرأة وإنما هو لقب أطلق عليها لخبرتها بالسحر وفراستها في التنبؤ بما يقع من الأحداث[5]، وقد أطلق عليها كذلك اسم ملكة البربر Reine des b èrbères [6].

2/ **نسبها**: ابنة "تاتيت" Tatit أو ماتيا Matiyer,Mathieu,Mathias ابن تيفان Tifan,Théophane، أي ابنة تاتيت بن تيفان[7]، وهل هي بربرية الأصل أم مولدة ! كما كان لها ثلاثة أبناء إبنان من أب بربري و آخر من أب يوناني، وكيف

أن مسألة النسب كان لها تأثير متميز في الحكم ! يبدو أنها فرضت نفسها على القبائل البربرية وحلفائها من البيزنطيين في المغرب بفضل الزواج السياسي[8]!.

3/ ديانتها: لم تفصل مسألة الدين عن شخصية الكاهنة فهي تارة على دين الوثنية، وتارة أخرى يهودية، شأن قبيلتها جراوة (بطن من زناتة من البتر) كانت يهودية، وهي في الأخير مسيحية ، عندما تحولت قبيلة جراوة إلى المسيحية كغيرها من القبائل البربرية إلى الديانة المسيحية في عهد الغزو البيزنطي)[9]. وهي بين هذه الازدواجية الروحية والعقائدية ، تبدو أنها كانت صائبة الرأي، مسموعة الكلام في قومها، مهيبة الجانب بين ذويها، لأنها كانت تهيمن على جماعتها وأتباعها عقائديا وروحيا ، شأن كل زعيم أو قائد في تلك الفترة التاريخية القديمة ، وهو جمع مضمون شخصيتها السحرية في الأمور السياسية و العسكرية.

4/ وفاتها: لا نعلم سبب موتها؟، هل قتلت في معركة الوغى أم تراها رمت بنفسها في البئر، الذي احتفظ بذكراها وعرف باسمها بئر الكاهنة ، الذي يوجد بسفح جبل نشار على بعد 50 كلم شمال مدينة طبنة - حاليا ولاية خنشلة بالجمهورية الجزائرية - لكننا نرى أن الجميل في موت الكاهنة ، أنها عندما علمت بفراستها أن اقتراب جيوش حسان منها ينذر بنهايتها ، قالت لابنيها:" إني مقتولة وأرى رأسي تركض به الدواب يمضي به إلى المشرق من حيث تطلع الشمس ، وأراه موضوعا بين يد الملك، ملك العرب الأعظم الذي بعث إلينا بهذا الرجل"، فقال لها يزيد بن خالد وولداها :" فإذا كان الأمر هكذا فارحلي وخلي له البلاد، فقالت وكيف أفر وأنا ملكة والملوك لا تفر من الموت ، فأقصد قومي عار إلى آخر الدهر"، فقالوا لها:" ألا تخافين على قومك الموت؟ فقالت:" إذا أنا مت فلا أبقى الله منهم أحدا في الدنيا"، فقال لها يزيد بن خالد وولداها فما نحن صانعون؟، فقالت:" أما أنت يا يزيد فستنال ملكا عظيما عند الملك الأعظم، وأما أولادي فسيدركون ملكا بإفريقية مع الملك الذي يقتلني، " ثم قالت لهم :" اركبوا واستأمنوا إليه[10]".

وهكذا أرسلت الكاهنة ولديها مع خالد بن يزيد عند حسان ليأخذ لهما الأمان، في حين لم ترض لنفسها بالاستسلام أو طلب الأمان حيث رأت أنه من العار فعل ذلك، وفضلت الموت حفاظا على شرفها وشرف قومها، وقد رأى بعض المؤرخين أن "الكاهنة أثارت في البلاد روحا وطنية " .

ثم عبارة: "بأن النساء في بلاد البربر، لعبن عدة مرات أدوارا رئيسية حتى عهد الموحدين"[11]، وماذا عن المرأة في عصر الدول : الزيانية، والحفصية، والمرينية ؟ ، لا يمكن أن نتجاهل المادة التاريخية القيمة التي أمدنا بها المؤرخون وأصحاب التراجم والطبقات والنوازل وغيرها، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: البكري، ابن سعيد المغربي ، ابن خلدون ، الدباغ، ابن الحاج، أحمد بابا التنبكتي، البرزلي، المازوني، والونشريسي وغيرهم. فكل هؤلاء دبجوا بأقلامهم مواضيع وجوانب من تاريخ المرأة في المغرب الإسلامي.

وأخيرا لا يسعني إلا أن أتوجه مرة أخرى بجزيل الشكر وفائق التقدير إلى العالم الجليل الأستاذ الدكتور البحاثة المرحوم موسى لقبال على هذا الجهد الكبير في إماطة اللثام عن تاريخ المغرب الإسلامي مذللا الطريق أمام الباحثين لتقحم هذا الميدان والقيام بدراسات علمية تكمل ما بدأه أستاذنا الذي حاز بحق قصب السبق في الاهتمام بدراسة تاريخ المغرب الاسلامي .

أما ما أبديناه من ملاحظات وإضافات على هذا الكتاب فهي لاتقلل من شأنه ولا تنقص من قيمته بل هي عمل علمي متمم على طريقة علمائنا السلف، لكي يزداد هذا العمل الحسن حسنا ونصاعة.

الهوامش:

(1) البكري: **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب**، نشره البارون دي سلان، الجزائر، 1911، ص30، ابن عبد الحكم :**فتوح إفريقية والأندلس**، حققه عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1964، ص15.

(2) البلاذري: **فتوح البلدان**، تحقيق رضوان محمد رضوان، القاهرة، 1932، ص213، المالكي: **رياض النفوس**، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، 1951، ج1، ص ص36، 6.

(3) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، القاهرة، 1938، ج4، ص31.

(4) محمد الطالبي: **المغرب من الفتح إلى أواخر الربع الأول من القرن الثاني**، بحث ضمن: أعمال ندوة الذاتية العربية بين الوحدة و التنوع، تونس، 1979، ص211.

(5) محمد بن عميرة:"موقف الكاهنة من الفتح الإسلامي"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع2، سنة 1986، ص ص24، 23.

(6) Fantar (M) : **La Kahina, Reine des Bérbères** (R.E.P.P.A), 1987, T 3, p 172.

(7) ابن الرقيق القيرواني: **تاريخ إفريقية و المغرب**، تحقيق، الكعبي، تونس، 1968، ص55، ينظر أيضا،

Mercier (E) **: Histoire de l'Afrique septentrionale**, Paris, 1888, T1, pp 222.

(8) Gautier (E,F) : **Le passé de l'Afrique du Nord**, Paris, 1952, p270.

(9) البكري: م، س، ص31. ابن عذاري: **البيان المغرب في أخبار إقريقيا والمغرب**، تحقيق ج، س كولان، و إ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت،

ط3، 1983، ج1، ص35. ينظر أيضا، هاشم العلوي القاسمي: **مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن 4 هـ / منتصف ق 10م** ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1995 ، ج1، ص ص 15، 16.

(10) الدباغ: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله و علق عليه الشوخي، تصحيح و تعليق ابراهيم شوخ، مكتبة الخانجي، مصر، 1968، ج1، ص66.

(11)موسى لقبال: **المغرب_الإسلامي- منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج**- ش.و.ن .ت، الجزائر، 1981، ص ص68، 61.

. المصادر والمراجع:

أولا :

1 . ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، القاهرة، 1938، ج4 .

2 . البكري: **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب**، نشره البارون دي سلان، الجزائر، 1911، ص30، ابن عبد الحكم:**فتوح إفريقية والأندلس**، حققه عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1964.

3 . البلاذري: **فتوح البلدان**، تحقيق رضوان محمد رضوان، القاهرة، 1932،

4 . ابن الرقيق القيرواني: **تاريخ إفريقية و المغرب**، تحقيق، الكعبي، تونس، 1968

5 . الدباغ: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله و علق عليه الشوخي، تصحيح و تعليق ابراهيم شوخ، مكتبة الخانجي، مصر، 1968، ج1

6 . ابن عذاري: **البيان المغرب في أخبار إقريقيا و المغرب**، تحقيق ج، س كولان، و إ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983، ج1

7 . المالكي: **رياض النفوس**، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، 1951، ج1 .

ثانيا: المراجع:

8 . الطالبي محمد : **المغرب من الفتح إلى أواخر الربع الأول من القرن الثاني**، بحث ضمن: أعمال ندوة الذاتية العربية بين الوحدة و التنوع، تونس، 1979.

9 . القاسمي هاشم العلوي : **مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن 4 هـ / منتصف ق 10م** ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1995، ج1.

10 . لقبال موسى: **المغرب_الإسلامي- منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج**- ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981.

المجلة:

11 . بن عميرة محمد: "موقف الكاهنة من الفتح الإسلامي"، **مجلة الدراسات التاريخية** ، ع2 ، سنة 1986، ص ص24، 23.

رابعا: المراجع الاجنبية:

12- Fantar (M) : **La Kahina, Reine des Bérbères** (R.E.P.P.A), 1987, T 3, p 172.

13-Mercier (E) **: Histoire de l'Afrique septentrionale**, Paris, 1888, T1.

14- Gautier (E,F) : **Le passé de l'Afrique du Nord**, Paris, 1952, p270.